مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(07)، العدد (02)، (ديسمبر-2022)، ص 477-498
ISSN: 2602-5566 EISSN:2716-8999

دلالة الحمار في العالم القديم
دراسة حالة فسيفساء الحمار المنتصر بمدينة كويكول الرّومانية

The symbolism of the donkey in the ancient world
Case study the mosaic of the *asinus nica* in the roman city of *Cuicul*

رياض دحمان[1] *

[1] جامعة 8ماي 1945 قالمة (الجزائر)، E-mail : dahmane.riad@univ-guelma.dz،

تاريخ الإرسال: 2022/07/14 تاريخ القبول:2022/11/27

ملخص:

حين تتبع تاريخ استئناس الحمار وحضوره في مختلف حضارات العالم القديم سيما المعتقد والحياة اليومية، يبرز دوره كحيوان مرافق للإنسان والآلهة على حد سواء، ومهما اختلفت نظرة الانسان التي ترسم له أحيانا صورة سلبية كونه بليذ وغبي ورمزا للشّر، إلا أنّ ما يخلّده حضوره الإيجابي يوحي بمكانته كرمز توثّقه النّصوص القديمة والصّور المختلفة، ومنها ما طُبع على أرضية حمّامات منزل الحمار بكويكول، كحالة تحرّك فكر الأشخاص لمعرفة الدّلالة والرّمزية التي ارتبطت به، وما *asinus nica* إلا رسالة تجعل الأذهان تشتغل لمعرفة حقيقة التّعبير، وارتباط صفة الانتصار بمركّب الحمار من خلال ربط العلاقة التّوافقية بينهما، لإبراز الدّور الفعّال للحمار في ذهنية الفرد الرّوماني، وثني كان أو مسيحي، برسالة واضحة الخطوط ومتعدّدة القراءات.

كلمات مفتاحية: رمزية؛ حمار؛ فسيفساء؛ كويكول؛ رومانية.

Abstract :

When you trace the history of the domestication of the donkey and its presence in various civilizations of the ancient world, especially belief and daily life, its role as an animal companion to both humans and gods emerges. As a symbol documented by ancient texts and various images, including what was printed on the floor of the bathrooms of the donkey's house in *cuicul*, as a state that moves people's insight to know the significance and symbolism that was associated with it, and *asinus nica* is nothing but a message that makes minds work to know the truth of expression, and the link of victory with the donkey by linking the harmonic relationship Between them to highlight the effective role of the donkey in the mentality of the Roman religious individual, whether he was a pagan or a Christian, with a message with clear lines and multiple readings

Keywords: Symbolism; Donkey; Mosaic; cuicul; Romanian

* المؤلف المرسل.

1- مقدمة

قد يذكر الحمار في عديد النّصوص الأدبية لمختلف الحضارات وحتّى في عصرنا هذا، على أنّه ذلك الحيوان البليذ، وصاحب القدرة الهائلة على تحمّل المشاق والأذية، ذو الأذنان البارزتان اللّتان يضرب بهما المثل في الحمق والغباء، والكل غير آبه بحقيقة ما قدّمه هذا الحيوان من خدمات على مرّ العصور لمختلف الشّعوب، بل وكان مصاحبا في معتقدات الأمم الوثنية لبعض آلهتهم، مثل الإله سيت لدى المصرين، وبرياب وديونيزوس وفيستا عند الرّومان، حتّى في الدّيانات السّماوية، ذكر الحمار لدى اليهود والمسيحيين حين ارتباطه بالمسيح عيسى عليه السلام، فخصّ بعديد الاشارات في مختلف روايات الانجيل، وعند المسلمين ذكر في القرآن والسّنة، في كل هذا يشار له تارة بالخير وأخرى بالشّر. هذا الحضور المميّز لهذا الحيوان مقارنة مع باقي الحيوانات التي قد نجد بعضها في حضارة دون أخرى، لكن أن تستمر على مرّ السّنين منذ استئناسها، هذا قليل الحدوث إلا مع الحمار موضوع بحثنا، من هنا ولدّت ثقافات الشّعوب المتواترة دلالات ورمزية مرتبطة به، بشكله وتصرفاته، بغبائه وذكائه، وبحضور المتناقضات المصاحبة له، فما الرّمزية التي نتحدّث عنها وفيما تتمثّل؟، وبإسقاط معرفي هل حضرت الرّمزية في فسيفساء الحمار المنتصر بمدينة كويكول؟، أم هي مخيلة الفنان حاول إبرازها على لوحته؟.

2- رمزية الحمار في الحضارات القديمة

2-1- أصل الحمار وانتشاره

إنّ الامتداد الجغرافي لوجود الحمار في العالم القديم هو الجهة الشّرقية لافريقيا، في مصر وبلاد النوبة والسّودان، حيث عرف نوعان منه تمّ استئناسهما من طرف الانسان وهما :

equus africanus africanus

equus africanus somaliensis

وان كان الاسم اللاتيني *equus* يترجم إلى الحصان وليس الحمار *asinus*، إلا أنهما يعتبران الجنس الحيواني الأقرب للحمار الحالي في شكله وبنيته المرفولوجية، وفي فترة لاحقة لاستئناس هذا النوع عرفت أنواع أخرى في أنحاء شتى متفرقة من العالم مثل:

equus hemionus الحمار الأسيوي و *equus kiang* من التبت، لكن هذه السلالات لم تنتشر ولم تستمر في الانتشار بشكل واسع، فالأبحاث الحديثة الّتي أجريت على الحمض النووي لـ 4273 حمار من 52 دولة ، جعلت للتّعرف على أنّ أصل الحمير المنتشرة حاليا هي امتداد للسلالة النوبية والصومالية من الحمار المصري القديم سالف الذكر. ويبين الجدول التّالي أنواع الحمير الّتي عاشت في العالم القديم (YILMAZ, BOZTEPE, & ERTUGRUL, 2012, p. 266)

مكان عيشها في العالم القديم	أنواع الحمير
إيران وسوريا وشمال السّعودية	*equus onager*
بلاد ما بين النّهرين ووسط آسيا	*equus hemionus*
الجنوب الشّرقي للأغواط بالجزائر	*equus asinus atlanticus*
الصّومال، أثيوبيا، كينيا	*equus asinus somaliensis*
مصر والسّودان وأريتيريا	*equus asinus africanus*
الهند والنيبال	*equus asinus kiang*

وبخصوص الحمار الافريقي الّذي عرف انتشار واساعا في العالم القديم واستمرت سلالته في العصور التّاريخية، يذكر كامبس أنّه خلال الهولوسان وعند تصفّحنا لقائمة الحيوانات الّتي تعود الى العصر الحجري القديم الأعلى والعصر الحجري الحديث، الى جانب هذا النّوع يظهر الحمار الموريطاني *asinus mauritanicus* ،لكن هذا الأخير لا يظهر في الفن الصّخري حتّى العصر الحجري الحديث (CAMPS, 1984, p. 376) وفي الجزائر يسجل نوعان من الحمار الأطلسي وجدا بعين بوشريط، ينسب كل منها لمكتشفة (CAMPS, 1984, p. 375)

Equus dolichohippus numidicus arambourg

Equus asinus tebti

2-2- الحمار في الحضارة المصرية

عرف الحمار في مصر القديمة منذ ما يقارب 6000 سنة، سابقا بذلك الحصان في الاستئناس، واستغل في مختلف الأعمال اليومية خاصّة الشّاقة منها، لما له من قدرة التحمّل، فكان شريك الانسان في تنقلاته ومهامه.

هذه الصّورة التي ارتبطت به انعكست لتشمل الجانب الدّيني والمعتقد المصري القديم، اذ توثّق البرديات ورسوم جدران المقابر ظهوره في وضعيات عدّة.

ويظهر في الكتابة الهيروغليفية بصورتين، الأولى مماثلة لشكله الطبيعي، والثّانية بصورة قضيب ذكري تختلف أشكاله ليعبّر عن معنى واحد مرتبط بالخصوبة والتّكاثر، وان كان للتّعبير عن أنثى الحمار فالتّصوير يختلف ، والحال ذاته إذا كان المقصود صغيره- وان كان هذا الأخير قليل الظهور في النّصوص المصرية القديمة-، من جهة أخرى بعض تلك المصادر تشير إلى نوعه مثل ما وجد على نصب أمينوفيس الثّاني المكتشف بميت راهينا بمحافظة الجيزة، والذي يشير إلى مشهد صيد الحمير، وخلفها يتطاير غبار كثيف مشيرا إلى عددها الكبير، ربما المقصود هنا الحمير البّرية التي سكنت المناطق شبه صحراوية (CLOSSE, 1998, p. 28)، إلى جانب مشهد آخر مصوّر على جدران معبد رمسيس الثالث بمدينة هابو.

وفي محاولة للتّعرّف على الدور الحقيقي للحمار في مصر القديمة، فإنّ ما صوّر على جدران المقابر يشير الى استغلاله في أعمال الحقول، خاصّة ما ارتبط بنقل المحاصيل وهذا لقدرته على تحمّل أثقال كبيرة جعلت منه وسيلة فعالة لذلك، ومن الصّور ما يحاكي قطعان الحمير المرتبطة بالعمل الزّراعي تلك المكتشفة بمصطبة ليد leyde أو المكتشفة بقبر خونسkhones بزاوية الميتين (CLOSSE, 1998, p. 29)، ومشهد الحرث المكتشف على إحدى جدران قبر انختيفي موالا في مصر العليا بين أسوان والأقصر. ولم يقتصر دوره عند هذا الحد بل واستغل في نقل بعض أشراف المجتمع المصري القديم، ويشهد على ذلك ما صوّر على جدران مصطبة أوركوهو Ourkouhou بالجيزة والمشهد الثاني صوّر بقبر نيانخنوم Niânkhkhnoum بسقارة.

من جهة أخرى تشهد الوصفات المسجّلة على ورق البردي استعمال بعض أعضاء الحمار في التّطبيب، مثل الكبد، الخصيتان، الدم، العظام ...الخ، على الرغم من أنّ لحمه لم يستهلك من طرف المصري القديم، ولم يستعمل جلده في الصّناعة الجلدية. ولم يقتصر حضوره في الوصفات الطبية فحسب، بل تعدّى الى الوصفات السّحرية أو تلك المرتبطة بعالم الغيبيات، وهو ما وجد في إحداها وصفت لحماية ورعاية رضيع ولد قبل أوانه (CLOSSE, 1998, p. 34)

كما يظهر التّصوير الجنائزي شخصيات ميثولوجية بجسم انسان ورأس حمار، على غرار ذلك المكتشف بقبر توت عنخ آمون، الّذي يصوّره حاملا سحلية بيده، ومشهد آخر صوّر على ورق البردي حاملا بيديه سكينة حادة (VANDENBEUSCH , 2020, p. 126)

وكثيرا ما ارتبط الحمار في المعتقدات المصرية القديمة بعبادة الاله سيت، وهو في الميثولوجيا المصرية أخ الاله أوزوريس، ويرتبط اسمه بالشّر وما يشير إليه مثل العواصف والعنف ...، وعرف بقتله أخاه وصراعه الدّائم مع الاله حورس الذي يرمز للخير، وفي الأخير ينتصر حورس على سيت معلنا انتصار الخير على الشّر(**تعليق 1**).

وارتباط الحمار بالإله سيت لم يكن اعتباطيا، وان لازمه في كثير من الأحيان بفعل التّشابه بينهما، على الرّغم من خصائص الحمار التي أهّلته ليكون أنيسا للإنسان في مختلف استغلالاته، لكن هذه المكانة لم تشفع له في نظر الميثولوجيا بحكم التّشابه بينه وبين الاله سيت ليس في الأفعال ولكن في ارتباطه بخصائص بيئية، فالحمار عرف في المناطق القاحلة الصّحراوية أو الشبه صحراوية، وهي في نظر المصري القديم أرض مليئة بالشّرور والخوف والضّرر، وهنا يلتقي مع الاله سيت الذي أضحى هو الآخر إلاها لهذه المناطق.

وفي جانب الشّر يلتقي الحمار بصوته المزعج الجالب للأرواح الشّريرة مع الإله سيت المحب للضوضاء والفوضى، وقد استخدم المصري القديم تعويذات سحرية لإيقاف جبروت سيت ودرء

شروره، إذ صوّر في بعض المشاهد برأس حمار راكعا وذراعيه مقيدتين خلف ظهره، وقيّدت رقبته بسلسلة، وهي إشارة الى الخضوع والهزيمة والانتصار على الشّر (CLOSSE, 1998, p. 36)

صورة 01:.نصب يعود للفترة الفارسية يصوّر في إحدى جانبيه الاله سيت برأس حمار ،
المصدر (CLOSSE, 1998, p. 36)

وفي مشهد آخر مخالف لسابقه، يظهر سيت برأس حمار حاملا بيده اليمنى سهم، ودرع بالأخرى في حالة استعداد للنزال. كما احتوت جدران قبور دير المدينة على صور للحمير منها ذاك الذي يصوّر حمارين بدل أُسود فوق رأسهما رمز الأفق ويعلوه قرص شمس وإلى جانبهما نص بالهيروغليفية محتواه صيغة العشق للشّمس عند شروقها في الأفق، ورجل وامرأة واقفان في حالة تعبد وذهول (VANDENBEUSCH , 2020, pp. 86-87)

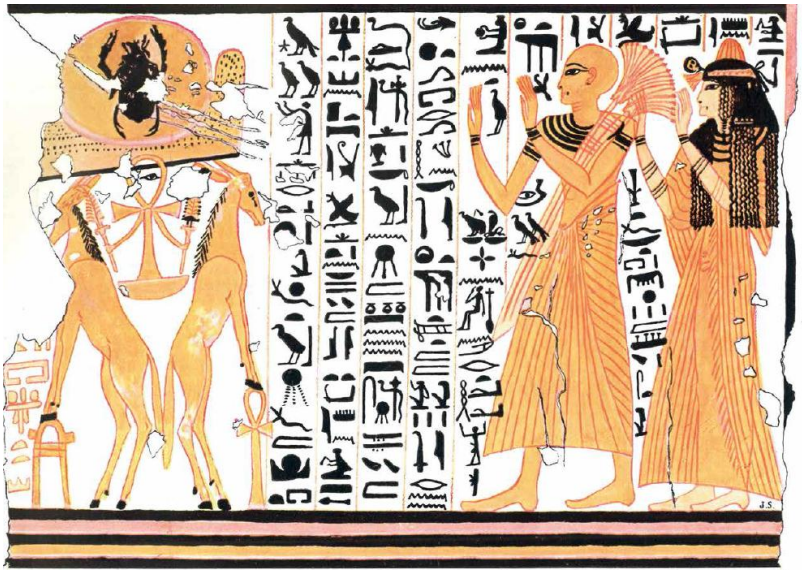

صورة 02: تصوير جداري يبرز على احدى جانبية حمارين وجد بقبر نختامون بدير المدينة
المصدر (VANDENBEUSCH , 2020, p. 86)

2-3- الحمار في بلاد ما بين النهرين

عرف الحمار في بلاد ما بين النهرين في الألف الثّالثة وبداية الثّانية قبل الميلاد، أمّا النوع الذي استأنس فكان الحمار الافريقي الذي عرف سابقا في مصر *equus africanus*، على الرّغم من وجود أربعة أصناف كانت تتشكّل من الحمير والأحصنة والحمير البرية التي لم تستأنس، وهي أكبر حجما من الأليفة إلى جانب البغال (LAFONT, 2000, p. 208).

ويعبّر عن الخيول عند السّومريين بصفة عامة بلفظ ANSE الذي تتفرّع عنه في الأكّادية خمسة معاني (LAFONT, 2000, p. 209)

الخيل عامة ANSE

- ✓ الحمار المستأنس (*ANSE LIBIR (equus asinus*
- ✓ الحمار البري *ANSE EDINNA (equus hemionus) onagre*
- ✓ الحصان *ANSE SI-SI/ ANSE KURRA (equus caballus)*
- ✓ البغل (المهجّن من الحمار المستأنس والبري *ANSE BARXAN (equus asinus+ equus hemionus)*
- ✓ البغل المهجّن من الحمار المستأنس وأنثى الحصان (*equus* ANSE *GIR NUN.NA assinus+ equus caballus)*

وتشير النصوص القديمة مثل نصب فوتور بمدينة أور، والنص الاحصائي الذي وجد بدرهام وما وجد من عظام في تل الأسمر، إلى أنّ الحمير البرية هي الأخرى استأنست خلال الألف الثّالثة قبل الميلاد.

وتظهر مكانة الحمار في إحدى المشاهد على غمد سكين من الذهب، يصوّر إحدى الأمراء العموريين ممتطيا حمارا على ما يبدو، ويقابله قطيع من الحيوانات الى جانب سمكة ربما هي مشهد صيد واحتفال (LAFONT, 2000, p. 215)

وارتبط الحمار في المراسلات المتعلّقة بتقديم الأضاحي لملوك ماري Mari، حيث ورد في احداها تقديم جحش وليس شيء آخر كعربون تحالف أو سلام (*hiyarum sa salimim*) على أن تقدّم الأضاحي داخل المعبد (LAFONT, 2000, p. 216)

ويرتبط ظهور لفظ الحمار في الأساطير العراقية القديمة بالحب والعلاقات الجنسية وكل ما له علاقة بالخصب، ففي أحد النصوص الآشورية التي تروي نزول الإلهة عشتار(إنانا) إلى العالم السّفلي (عالم الأموات) وما تركه من أثر في عالم الأحياء، خاصّة ما تعلّق بعلاقة الذّكر بالأنثى لدى الانسان والحيوان، فعلى لسان أبسوكال(وزير الآلهة ورسولهم) في خطابه مع إنكي:

" منذ أن نزلت عشتار إلى أرض اللاعودة،

لم ينز الثور على البقرة ولم يلقّح الحمار الأتان،
وفي الحي لم يضاجع الرّجل الفتاة،
فالرّجل في مخدعه والعذراء عن جنبها (حنون، 2002، صفحة 88).

يظهر في هذا النص ثلاث شخصيات، الأولى عشتار كرمز للحب والعلاقات الجنسية وما خلّفه غيابها من أثر على هذه العلاقة، والثّور كرمز للقوة وارتباطه بالأرض وما توفّره من خيرات والحمار كرمز للخصوبة والانجاب والتّكاثر، لذلك ذكر مقترنا بالفعل " لقّح" فهو في نظر الآشوريين ذو علاقة مباشرة بالتّوالد، فغياب عشتار عن هذا العالم خلّف أثرا بالغا فيما دأبت عليه الخليقة من ممارسات طبيعية تفرضها الحتمية البيولوجية.

4-2 الحمار في المجتمع اليوناني والرّوماني

في المجتمعات اليونانية والرّومانية كان الحمار أقل مكانة من الحصان الذي ارتبط اسمه بالمعارك والأسر النبيلة، حتّى أنّ المجتمع جعل إحدى طبقاته مرتبطة به وهي الفرسان، لكن الحمار لا يلتفت إليه الا في حالات العمل الشاق كنقل الحجارة من المحاجر أو أعمال المزارع المتعبة، أو يرتبط اسمه بجانب السخرية والتّقليل من شأن الأشخاص في حال ارتكابهم أعمال مشينة لا يقبلها المجتمع.

ويذكر بلوتارك (PLUTARQUE, 1844, p. T II)أنّ المرأة المرتكبة للمعصية (المومس أو الزانية) تركب فوق ظهر حمار بالمقلوب (ملتفتة الى الخلف) وتُسار في شوارع المدينة للتّشهير بها وجعلها عبرة لغيرها ، ولُقّبت حينها بـ أونوباتيس (*Onobatis*) سيئة السّمعة مدى الحياة، بل وتمنع حتى من الدّخول إلى المعابد، وقد يؤدي بالزّانية إلى الموت من طرف زوجها وهو ما يبيحه القانون الأثيني (MITTON, 1905, p. 12)، لم يكن هذا الفعل مرتبط بالنساء فقط بل كان للرّجال نصيب من العقوبة، فأحيانا قد تكون العقوبة بتر العضو التّناسلي وعرضهم على الجمهور وهو ما يعرف بـ باراتيزم(Paratisme) (MITTON, 1905, p. 13) واستمرت عادة حمل المذنب على ظهر حمار والتّشهير به مع الزّمن ، ففي العصر الفاطمي كانت هذه العقوبة تسمى بالتّجريس، إذ يجبر على ركوب ظهر حمار بالمقلوب وإلباسه عنوة رداء مزركش بالألوان يسمى رداء الشّهرة (سعيد مال الله و عطية الحداوي، 2014، الصفحات 263-303). وفي العهد العثماني، كان مفطر رمضان يحلّق نصف لحيته وشاربه، خاصّة إذا كان شابا قوي البنية، ويحمل بالمقلوب على ظهر حمار ووجهه متجه إلى ذيله، ويعمّمون هذا الشّخص بأحشاء ذبيحة ويضعون على كتفيه جلدها ويطوفون به في الشّوارع والأزقة (سمير فهمي، د.ت، الصفحات 18-19)

بالعودة الى عقوبة الزّناة في العصر الرّوماني اختلفت بين الأشراف والعامة، فعند الأشراف في العصر الملكي تركت العقوبة بيد الزوج وهو من يقرّر صنفها، لكن اختلف الحال في العصر الجمهوري حيث عرفت ثلاثة أنواع من العقوبات، إمّا الغرامة *multa* أو الموت *poena capitalis*

أو *repudiation* (MITTON, 1905, p. 14) ، لكن الحال يختلف عند العامة، بل وتكون أكثر تأثيرا، فالمرأة المذنبة بالجرم المشهود تبعد عن المدينة وتعرض للاعتداء من طرف رجال أشداء كل حسب دوره، وقد تكون العقوبة كما وجدت عند الكمبانيين، في هذه الحال تجرد من ثيابها وتحمل فوق ظهر حمار ويجوب بها كامل شوارع المدينة وصولا الى الفوروم وتعرض للعامة (MITTON, 1905, pp. 15-16)

هذا باختصار عن اشراك الحمار في عقوبة المذنبين، من جهة أخرى شأنه لم يكن بهذا القدر من الانحطاط، اذ استخدم في كثير من وصفات التجميل، فكان حليب الأتان نافعا لإزالة تجاعيد الوجه وانكماش العين، وترطيب البشرة وتكثيف الشعر، ويروى عن بوبي زوجة نيرون أنها كانت تأخذ حمّامها يوميا في حوض مليء بحليب الأتان، وكانت تسخّر لهذه العملية أكثر من 500 أتان (RIPOSTELLI, S.D, p. 14)

ويلجأ العرافون والسّحرة الى استخدام وصفات سحرية، للحمار دور فعّال فيها لطرد الشّياطين والأرواح الشّريرة، فهو معالج للوسواس، فاستخدم حافره الأمامي الأيمن في صناعة خواتم تحث على طرد الشّياطين، ومنع الخوف على الأطفال بوضع جلده عليهم، أو النوم على جلده (DEONNA, 1956, p. 647).كما أنّ دموع الحمار تمكّن من رؤية الأشخاص برؤوس حمير.

من جهة أخرى ارتبط الحمار بالعالم السّفلي الذي تسكنه الأرواح الشّريرة والشّياطين، إذ تروي الميثولوجيا أنّ العبد كانتياس kanthias تنكّر في هيأة ديونيزوس وانتقل على ظهر حمار إلى العالم السفلي بعد موت سيلان silene ومدياس midias.

وبالعودة إلى الميثولوجيا اليونانية والرومانية فإنّ الدلائل المادية التي تشير إلى دور الحمار ومكانته في معتقدات شعوب هذين الحضارتين تعدّ قليلة، فما صوّر على جدران المنازل والمباني الأخرى وما وجد على أرضياتها من مشاهد فسيفسائية يغيب فيها هذا الحيوان بشكل واضح، عدا البعض منها، على الرغم من كونه الحيوان الأقرب إلى الانسان في تنقلاته ونقل مستلزماته، وإن كان حضوره لافت للانتباه في الكتابات الأدبية والميثولوجية، وبالرجوع إلى ما رافق المعبودات من حيوانات قد نجد الأسماك والحيتان ومختلف الطيور والحيوانات المفترسة في مشاهد الصيد، والأليفة في مشاهد الحياة اليومية.

وان كان الحمار يعرف بأذنيه الكبيرتين مما يزيد في قدرة سمعه، وهي ميزة الآلهة والمخلوقات الخارقة المتفوقة على البشر الأقل منهم مكانة وقدرة، فهم يسمعون ما يدور حولهم في عالم الآلهة وحتى البشر، فهي بذلك رمز الكمال، ومنه لا يستغرب أن يكون للحمار دور مخالف لما تواترت عليه المفاهيم، فقد يكون رمزا للحكمة وتمييز الخير من الشّر، وهو ما تناولته رواية الحمار الذهبي لأبوليوس، فتحوّل لوكيوس إلى حمار لم يكن لغرض السّخرية واستصغار هذا الحيوان، بل له من

الدّلالة ما يثير حفيظة البشر ، فتنقلاته بحثا عن العودة إلى أصله البشري كان مصحوبا بمخالطة أناس التقى بهم في مشواره فسمع منهم الكثير وعرف ما يعلنونه وما يخفونه في سرائرهم .

ويصاحب الحمار الكثير من المواضيع الديونيزية التي ترمز إلى الفر ح والشّهوانية، فإذا كان ديونيزوس إله الخمر والغبطة والسّرور، مصدر نشوته الكروم، فقد ساهم الحمار في غراستها وتلقيمها إلى جانب المزارعين، فهو من الأساس له دور فعال في انتاج الخمر.

ويرتبط ظهور الحمار بالاحتفالات التي تقام على شرف الاله برياب Priape (ابن أفروديت وديونيزوس على الأرجح) حيث كان يجهّز من طرف الكهنة أو القائمين على الاحتفال، ليقدّم قربانا للإله، وفي هذه الاحتفالات كانت النّسوة ترتدين ملابس الرقص ويعزفن على مختلف الآلات الموسيقية، ويرتبط هذا الطقس بالحمار في خاصّيتين هما:

بسبب ما فعله حين محاولة برياب مضاجعة الالهة فيستا، ومن جهة أخرى يرى برياب في الحمار المنافس له بسبب ما يمتلكه، فبرياب يجد في نفسه إلاها للخصوبة التي يرمز إليها قضيبه، الذي أضحى صفة للوقاية من العين والحسد وذلك بتحويل نظرة الأشخاص نحو عضوه الفاضح مما يولّد السّخرية (EPHREM, 2018, p. 150)، وفي المقابل كانت تقام في روما احتفالات *vestalia* ، يمثّل فيها الحمار دور البطل تكريما له بسبب إنقاضه الالهة فيستا من محاولة إغتصاب من طرف برياب، حين أيقظها من نومها بفعل صوته العالي (BURKHALTER, 2013)، وهذه الاحتفالات كانت تقام في التّاسع من شهر يونيو ، وكان الخبازون يعلّقون الخبز حول أعناق الحمير .

2-5 الحمار في الدّيانات السّماوية

2-5-1 الحمار في التّراث اليهودي

الحمار في الدّيانة اليهودية مرتبط مع مخلّصهم حسب اعتقادهم، إذ تروي أساطيرهم أنّ "المسيا" سيأتي راكبا على أتان، وهذا يظهر في قصّة عودة زربابل المنحدر من نسل داوود الذي عاد راكبا الى أورشليم فوق ظهر أتان، من هنا تأتي طقوسهم ففي إحدى طوائف اليهودية المتشدّدة يقومون بتزين حمار ورفعه تأكيدا لفكرة قدوم المخلص راكبا على حمار.

كما كان لليهود طقس نذر عند ولادة بكر لهم، فيتقربّون إلى الله بذبح شاة، هنا يستثنى الحمار أن يكون قربان فيعوض بحمل، هذا ما روي في سفر الخروج 13" إنّك تقدم للرّب كل فاتح رحم وكل بكر من نتاج البهائم التي تكون لك الذكور للرّب، ولكن كل بكر حمار تفديه بشاة وإن لم تفده فتكسر عنقه، وكل بكر إنسان من أولادك تفديه".

ونجد كذلك في التلموذ جزء خاص بالمقدسات . باب الأبكار (بكوروت) يتحدث عن أحكام فدية الحمار.

أمّا عن سبب استثناء الحمار من الفدية، هو أنّ بني إسرائيل لمّا خرجوا من مصر كان قد ساعدهم الحمار، فحاز على مكانة لديهم جعلته استثناء وزادته رفعة وارتقاء عندهم.

ويحتفل اليهود بما يسمى (*Safek Peter Chamor*)، وهو طقس استبدال الحمار بحمل صغير أو طفل.

كما أنّ اليهود مدينون للحمار حسب ما روي في قصة شمشون الجبار الذي استطاع قتل أكثر من ألف فلسطيني بفك حمار وجده في طريقه إليهم، كما تناقلت الأساطير اليهودية أن أتان نبيهم بلعام لها القدرة على رؤية ملاك الرّب الذي لم يستطع هو من رؤيته (كنجي، 2018) .

2-5-2 الحمار عند المسيحيين

رغم المكانة التي حضي بها الحمار عند المسيح عيسى عليه السلام، إلا أنّه لم يكن رمزا لأتباعه، عكس الكثير من الحيوانات التي كانت رمزيتها ضاربة في المعتقد المسيحي ودلالتها مرتبطة بتعاليم المسيحية، مثل الغزال والأرنب والحمامة والأسد والنسر ....الخ، كل واحدة منها لها خصائص بنيوية أو حركات وأفعال جعلت الفكر المسيحي ينقاد إلى وجود علاقة بينها وبين الفرد المسيحي المتديّن، الذي يرى في صورة المسيح وأتباعه الصّفات المثالية للعلاقات البشرية الخالية من الدنس الدنيوي.

فاتخذوا من الطاووس رمزا للخلود كون جسده لا يتلف بعد موته ولا يتحلّل، وهو ما جعل الإلهة الرّومانية هيرا تجعل منه مرافقا لها بعد أن ولدت من ذيله حسب ما ترويه الأساطير (دعاء محمد، 2009، صفحة 155)

والحمامة كرمز للروح القدس التي هبطت من السّماء في شكل حمامة أثناء تعميد السّيد المسيح في نهر الأردن، حسب ما ورد في سفر التكوين من العهد القديم (دعاء محمد، 2009، صفحة 153)

وإذا كان الأرنب في الثّقافات القديمة رمزا للإعمار، فهو كذلك رمز لليقظة، وفي المسيحية الباكرة رمز لانتصار المؤمن المطارد من قبل الحكومة الرّومانية الوثنية (دعاء محمد، 2009، صفحة 164). وإذا ارتبط بالسيدة مريم العذراء فهو رمز لانتصارها على الجسد.

ورمز الأسد لقوّة السّيد المسيح من جهة وإلى الخصم المتربّص بأتباعه من جهة أخرى، واتّخذ الحمل رمزا للمسيحية كونه في اعتقادهم وحسب ما يرويه انجيل يوحنا أنّه الحيوان الوحيد الذي له القدرة على فتح الكتاب المقدس بسبعة أختام (دعاء محمد، 2009، صفحة 172).

وهناك الكثير من الحيوانات التي لها دلالة في المسيحية، أمّا الحمار موضوع بحثنا فقد صاحب المسيح في دخوله إلى بيت المقدس وهو ما يرويه العهد القديم "ولما قربوا من أورشليم وجاءوا إلى بيت فاجي عند جبل الزيتون، حينئذ أرسل يسوع تلميذين، قائلا لهما اذهبا إلى القرية التي أمامكما، فللوقت تجدان أتانا مربوطة وجحشا معها، فحلاهما وأتياني بهما وإن قال لكما أحد شيئا، فقولا: الرّب محتاج إليهما، فللوقت يرسلهما فكان هذا كله لكي يتم ما قيل بالنبي القائل،

قولوا لابنة صهيون: هو ذا ملكك يأتيك وديعا، راكبا على أتان وجحش ابن أتان" (انجيل متى21"1-5").

ويروى عن المسيحيين اليونانيين أنهم كانوا يتقربون لمعبودهم؟ من خلال رسم شخص مصلوب برأس حمار ومكتوب عليه" ألكسمينوس *alexminos* يعبد يسوع"، هذا ما نجده أيضا في الرسوم الجدارية (الغرافيتي) بروما وتلك المحفوظة بمتحف البالتان منقوشة على ألواح من الرخام وأخرى من الحجر الجيري (DE MELY, 1908, pp. 82-92)

ومن شدة العلاقة بين الحمار والمسيحية كان رجال الكهنوت يشدّدون على الشّعب المسيحي بالتّحوّل الى حمار كأفضلية لهم على البشر (التّشبه بحمار أورشليم الحقيقي).

3-5-2 الحمار في الدين الإسلامي

ورد ذكر الحمار في القرآن الكريم في أكثر من موضع، إذ ذكر كحيوان ينتفع به الانسان إلى جانبه الخيل والبغال في سورة النحل الآية 8، وذكر في قصة ذاك الذي حاج إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة الآية 259، وضرب به المثل في صوته المنكور في قوله عزّ وجل" وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ، إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ" في سورة لقمان 19، وعلّق شمس الدين القرطبي في تفسيره فقال:" والحمار مثل الذم البليغ والشّتيمة وكذلك نهاقه، ومن استفحاشهم لذكره مجردا أنهم يكنّون عنه ويرغبون عن التّصريح، فيقولون طويل الأذنين، كما يكنّى عن الأشياء المستقذرة".

وضرب به المثل في المشركين الذين يكرهون ويتنكّرون للخير في سورة المدثر50-51" كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ، فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ"، كما ضرب به المثل في حمل ما لا ينتفع به من علم في قوله تعالى "مثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" الجمعة الآية5 .

وفي الحديث الشريف ربط نهيق الحمار بظهور الشّياطين، فحسب ما ورد في الصّحيحين (مسلم والبخاري) أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال " إذا سمعتم نهاق الحمير فتعوذوا بالله من الشّيطان فإنها رأت شيطانا".

غير أنه لم يكن بهذا القدر من الاستنفار، فقد شهد عدّة مواقف ارتبط فيها اسمه وحضر بدنه خاصّة فيما تعلق بالمعجزات، فقد ورد في سورة البقرة 259 " وانْظُرْ إلى حِمَارِك ولِنَجْعَلَكَ آيَة"، وهنا إشارة إلى إعادة بعث حمار عُزَيْر الذي أماته الله عزل وجل 100 عام ثم أحياه.

ومن المعجزات أيضا ما ذكره ابن تيمية في كتابه" الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان"، عن ذلك الرجل الورع الّذي توضأ فأحسن وضوءه وصلى ركعتين ودعا الله تعالى، فأحيا له حماره بعد أن قضي في الطريق، فحمل عليه متاعه (ابن تيمية، 2007، الصفحات 222-223).

وارتبط الحمار بمرافقة الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى أنّه قضى مباشرة بعد وفاته. ومن أشهر قصص حماره وكان اسمه عفير أو يعفور، أنّه كلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " بأبي وأمي أنّ أبي حدثني عن أبيه عن جده عن أبيه أنّه كان مع نوح في السفينة فقام إليه نوح فمسح على كفله ثم قال يخرج من صلب هذا الحمار يركبه سيد النبيين وخاتمهم، قال عفير فالحمد لله الذي جعلني ذلك الحمار". بغض النظر عن صحة الحديث من عدمه، فالعبرة تستشف من تواتر الأخذ به وحضور الحمار في ثنايا الخطاب.

3 - دلالة الحمار في الانتقال من عالم الى آخر ومن حال إلى حال

حين تصفحنا لتاريخ الحمار وحضوره في مختلف الحضارات القديمة، يظهر ارتباطه بعالم الشّر أكثر من ارتباطه بعالم الخير، خاصّة إذا كان للتّعبير عن غايات تسكن أنفس البشر، وحين يراد به ذلك الحيوان البليذ الصّابر على الشّقاء والحامل لأثقال فوق أثقاله يتحصّل الحمار على بعض الثّناء، ويخرج من دائرة الشّياطين السّاكنة في العالم السّفلي الّذي تحكمه الفوضى واللا استقرار، وهو نفسه العالم الّذي حكمه الاله ست عند المصريين ، وتذكر النّصوص الميثولوجية أنّ للحمار حضور فيها مع الإله رع حين انتقاله إلى العالم السّفلي، فهذا الإله السّماوي لم يجد سوى الحمار ليكون مرافقه وأنيسه إلى عالم الشّرور، وهنا يبرز الحمار المتحمّل لشقاء السّفر ومتاعبه من جهة، والمتحمّل لأقصى درجات الشّر من جهة أخرى. ويظهر الحمار في انتقال الأشخاص الى العالم الأبدي، فتشير تعويذة صدّ الحمار من الفصل 40 من كتاب الموتى، بأنّ المتوفى يتمنى استمرار مسيرته في الحياة الأخرى والابتعاد عن الموت مرة ثانية (VANDENBEUSCH , 2020, p. 113)

ويظهر في الحضارة الآشورية حين صوّرت إلهة الموت جاثمة فوق ظهر حمار، والكل يركب قارب العبور فوق نهر الجحيم، وهنا رمزية الانتقال من عالم الأحياء إلى عالم الموتى أو الخلود، أو العالم الّذي تسكنه النّفوس الطّاهرة من عالم الأحياء الذي يعتريه الشّر والغل، وعبور إلهة الموت فوق ظهر الحمار إنّما له دلالة على معرفة هذا الأخير للعالمين، فهو أكثر العارفين بخبايا الأشخاص، إذ صاحبهم في تنقلاتهم ومعاملاتهم ومختلف تصرفاتهم، وسمع منهم الكثير وصبر على ظلمهم، فهو الشّاهد على كل متوفى حين انتقاله الى العالم الأبدي.

وفي الميثولوجيا اليونانية والرّومانية ارتبط الحمار مع الإله ديونيزوس وكذلك الساتير سيلان، وكمقاربة مع هذا الأخير الّذي يصوّر دائما مخمورا، وأحيانا يترنّح على ظهر حمار، بل ويظهر في رأسه أذني حمار(DEONNA, 1956, p. 638) ، على الرغم من امتلاكه حكمة كبيرة وقدرة على معرفة الماضي والمستقبل، هذه الدّراية انتقلت إلى الحمار، الّذي بدوره ارتبط حضوره بعنصر

الوصل بين ماضي الأشخاص وحاضرهم ومستقبلهم، بفضل أذنيه الطويلتين ورؤيته لشخصيات لا يمكن للبشر رؤيتها.

وفي التّشكّل الدرامي تعطينا رواية الحمار الذهبي لأبوليوس، صورة واضحة عن انتقال الانسان من حال إلى آخر، فلوكيوس المتحوّل إلى حمار بسبب فضوله ورغبته في التّحوّل الى طائر، لكن ما حدث كان عكس ما رغب فيه، فالتّعويذة التي استعملت حوّلته إلى حمار، ودخل بعدها في مغامرة الخلاص والعودة إلى هيئته الطبيعية، وفي هذا ذكر قائلا:".. وأدخلت يدي في العلبة، وغرفت كمية معتبرة من المرهم ودهنت بها جسمي..... لم ينم لي زغب قط ولا ظهرت لي ريشة واحدة، لكن شعري نما بشكل واضح وأصبح خشنا.....وعندما تأمّلت كل أعضائي في هذا الوضع اليائس، لم أر نفسي طائرا، بل رأيت نفسي حمارا ..." (أبوليوس، 2008، الصفحات 107-108) وتحوّل لوكيوس إلى حمار راجع الى قدرة هذا الأخير على التّنقل ومصاحبة الانسان من جهة، وإلى كون الحمار عاش عديد المغامرات جعلته يعرف طبائع البشر ومكنوناتهم، ومعرفة حقيقة الأشخاص (كريدات، جانفي2018، صفحة 259)؛ وما يمكن استخلاصه من رواية الحمار الذهبي هو جدليّة الخير والشّر، هذا الأخير حسب ما ذكرنا سابقا كان حاضرا في عديد المواقف مع الحمار، وهنا الشّر من جانب البشر الذين عاملوا لوكيوس المتحوّل بأبشع أنواع التّعذيب، بضربه بالهراوات وفتق جلده، إذ يقول:" وراحت تضربني ضربا شديدا بهراوة من فروع الشّجر.." (أبوليوس، 2008، صفحة 191)، وفي موضع آخر ".. وإنما راح فوق ذلك يضربني بهراوة دون انقطاع حتى أنّ ألم ضرباته كان يخترق جسمي حتى النخاع.." (أبوليوس، 2008، صفحة 192) ، إلى جانب الضرب تعرض الحمار إلى الشّتيمة والعنف اللفظي والاثارة الجنسية، إذ رغبت النّسوة في مضاجعته (بختي، 2022، صفحة 59)، وكان أبوليوس الحمار في كل حين يتعرّض إلى شتى أنواع المعاناة وإجباره قسرا القيام بما يخالف رغبته، ومعاقبته دون وجه حق (ظريف و بن تومي، مارس2021، صفحة 710)

ويصوّر الحمار في عديد اللوحات الفسيفسائية أو الرسوم الجدارية مع الإله ديونيزوس أو مع سيلان، ومصاحبته لهما في حال سكرهما وعدم قدرتهما تمييز الطريق السديد، هنا تتدخّل حكمة الحمار في تنقلاتهما ومعرفته الطريق الصحيح الذي يجهله كلاهما بسبب سكرهما وعربدتهما، وبفضله ينقلهم من حالة اللاتمييز إلى التّمييز.

وحين يرتبط الحمار بخاصية التّكاثر والتّوالد، فهو إلى جانب رمزيته كمخصب بامتياز بفعل ما يمتلكه من عضو ذكري قادر على الإنتاج بشكل وافر، فإنّه يرمز إلى الانتقال من حالة العقر إلى الولادة، أو الانتقال إلى عالم التّكاثر ، الذي لا يمكن إسقاطه على البشر فحسب بل ويمتد إلى الجانب الفلاحي حين ارتباطه بالإلهة فيستا في طرف معادلة التّكاثر *vestae delicium asinus* وكان مصاحبا لها في عديد التّظاهرات، ففي احتفالات بالاس *palès* كانت الحمير تتوّج بالأزهار، وفي

احتفالات الكونسواليا *consualia* (احتفالات كونسوس *consus* إله الحقول والمزارع)، كانت الحيوانات المرتبطة بها على غرار الثيران والأحصنة والحمير والبغال، تزيّن بالأزهار ويطلق صراحها كي تعدوا حرّة في المروج (DEONNA, 1956, p. 634)

4- فسيفساء الحمار المنتصر بكويكول (جميلة)

تظهر الرّسومات داخل الايقونات في حالة حركة وسرور وهي مصاحبة بأوراق نباتات مختلفة، على الأرجح هي إشارة لفصل الربيع. لكن ما يميّز هذه الفسيفساء أنّ الأيقونات لا تحمل كتابة عدا أيقونة الحمار المرفقة بالعبارة *asinus nica*، هنا يطرح السؤال عن سبب هذه الخصوصية، وعلى ماذا أو من انتصر الحمار؟ وما دلالة ذلك؟

هذه الفسيفساء فريدة من نوعها من حيث الشّكل، لكن في موضوع انتصار الحمار ورد الكثير منها في النصوص وحتى التّصوير الجداري الذي يصوّر انتصار الحمار على الأسد كرمز للانتصار على القوة المطلقة الممثّلة في هذا الحيوان المفترس، أو ربما الخروج بالنفس البشرية من ضيق الضعف إلى شساعة القوة الكامنة في كل فرد.

وقبل البدء في تحليل الرّمزية في صورة الحمار وجب التّدقيق في العبارة المصاحبة له، فكلمة nica في مختلف قواميس اللغة اللاتينية تعني الشّجاع أو المنتصر الذي يرتبط بحلبات السيرك كتشجيع على الفوز (CHATELAIN, 1910, p. 884)، لكن حين ترتبط هذه الصّفة بالحمار فمن المستبعد أن تكون له علاقة بالسيرك إلا في حالة إشراكه في الألعاب الهلوانية أو الكوميدية ليزيد من الغبطة والسّرور، وقد تشترك الصّفة من حيث الجذر مع الفعل *necare* الذي يعني أباد وقتل وهزم، ومنه فالمعنى قريب بين الكلمتين، كذلك الأمر مع *nicator.is.m* الذي يعني الفائز أو المنتصر.

وقد نجد ارتباط صفة المنتصر مع *isgunte* الذي يراد بها حث الحيوان على القتال، مثل ما وجد في احدى منازل الواجهة البحرية بهيبوروجيوس"*isgunte nica*" التي تؤرخ ما بين 310و330م،فوق أرضية فسيفسائية ذات تصوير نباتي، كما وجد بذات المنزل فسيفساء تظهر مجموعة من الحيوانات البرية، ونجد مثال آخر بحي درماش بقرطاج (SPARREBOOM, 2016, p. 130)، وهي إشارة الى أنّ هذه الحيوانات كانت مخصّصة للمصارعة كإحدى فواعل الثّقافة الدموية الرّومانية التي كرست أعداد كبيرة من الوحوش البرية من مستعمراتها وفي مقدمتها المقاطعات الموجودة في شمال افريقيا ، وعبارة *isgunte nica* استعملت مرتبطة مع الحيوان المخصّص بالنداء، لذلك استعمل *isgunte* في حالة المنادى وهي التّمني بالانتصار المنتظر (DE PACHTERE, 1911, p. 328) .

الشّطر الثّاني من الكتابة asinus التي تعني الحمار في أغلب القواميس (ROBERT, 1522, p. 386)، كما يراد بها الحصان أو الخيل بصفة عامة، وجاءت بصيغة الفاعل المفرد للتّعبير عن

عنصر واحد وليس بصيغة الجمع، فالدّلالة هنا مرتبطة بذات متفردة بصفة واحدة لتعبّر عن معنى أراد صاحبه ايصاله الى المتلقي بجملة اسمية بسيطة، دون تكلّف في صياغة نحوية معقّدة، وما زاد المعنى وضوحا هو الصّورة المصاحبة للكتابة في شكل حمار مبرزا ضحكة كامنة بين خطوط وجهه العابسة، إيحاء منه بالفوز والانتصار. ويستبعد أن يكون الاسم asinus يخص صاحب المنزل كما ذكرت بلنشار لومي (BLANCHARD LEMEE, 1975, p. 99)، حين إجراء مقارنة وظيفية مع منزل إنجازات هرقل بآشولا، فالكتابة لم تكن وحدها دون إسناد بصري موضوعه الحمار وإلا كان الرأي قابلا للصواب، وإذا كان حمار كويكول مدربا على أعمال السيرك ومختلف عروض السّخرية حسب ما ذهب إليه البعض في مقاربة مع فسيفساء إحدى منازل الواجهة البحرية بهيبوروجيوس وفسيفساء أوتيكا، لكانت الصّورة مصاحبة باسم الحمار، مثل ما هو عليه الحال في فسيفاء حمامات بومبيانوس التي تذكر أحصنة السّباق كل باسمه، وعلى شاكلتها فسيفساء منزل سوروتوس sorothus بسوسة (دحمان، 2022، الصفحات 279-282) .

بالعودة إلى ربط الفسيفساء بالمكان الذي وجدت به، تشكّل فسيفساء الحمار المنتصر لوحتين منفصلتين، الأولى بالقاعة الباردة والثّانية بالقاعة الدّافئة، أمّا الأولى طولها10 م وعرضها4 م مع حاشية بعرض 0.33 م . محفوظة حاليا بمتحف جميلة، استعملت فيها ألوان متعدّدة، منها الأبيض والأسود والرمادي والأحمر والبني والأصفر. دراستها التّقنية ترتكز على ثلاث نقاط، مواد صنعها، سمك ومقاسات الحواشي والحقل، دراسة الألوان وتوزيعها على كامل اللوحة لخلق صورة جمالية متنوعة.

الحاشية الخارجية ذات زخرفة نباتية مستوحاة من الأكانتس استعملت فيها الألوان (الأحمر والوردي والرمادي) تنتهي إنحناءاتها بكؤوس نباتية، ويفصل بينها وبين الحقل خطان متوازيان ليفسحا المجال لإبراز أيقونات الحقل وعددها 73 أيقونة موزعة على خمسة صفوف، الصّف المركزي أيقوناته أكبر من البقية، ويضم 9 منها، بداخل كل واحدة موضوعا مختلف عن الآخر، أهمها من حيث التّعبير والدلالة الأيقونة الأولى التي تحمل صورة الحمار بمقطع جانبي، في حالة حركة ناحية اليمين وفوقه الكتابة *asinus nica* في مستوى أذنيه الطويلتين، أنجزت بمكعبات حمراء اللون لإظهارها بشكل واضح، كما حاول الفنان إبراز ظهر الحمار باستعمال ثلاث خطوط بمكعبات ذات لون أسود، في حين بطنه انجز بمكعبات رمادية وبيضاء (BLANCHARD LEMEE, 1975, p. 87)، أمّا الأيقونات المتبقية تضم على التوالي:

- ✓ شخص عار مجنح حاملا بيديه دلوين ومحاط بأوراق العنب،
- ✓ شخص يرتدي سترة بيضاء وينتعل صندال، حاملا بيده اليمنى وعاء يشبه الفانوس وبيده اليسرى ما يشبه الخبز،

- ✓ شخص يرتدي سترة طويلة وعريضة ذات لون أحمر،
- ✓ طاووس في حالة حركة ناحية اليمين، برأس مرفوع الى الأعلى،
- ✓ شخص ذو شعر طويل يتدلى فوق كتفيه، يتضح من النظرة الأولى أنها امرأة، في نفس الوقت يوحي اللباس أنه رجل وليست إمرأة (BLANCHARD LEMEE, 1975, p. 87)
- ✓ ملاك مجنح الى جانبه سحلية أسفلها ورقة العنب،
- ✓ الأيقونة الأخيرة في هذا الصف تظهر طاووس محاط بأوراق العنب والورود،

الصفوف الأربعة المتبقية في هذه اللوحة ذات مساحة أقل مما ذكر أعلاه، تضم صور مختلفة منها الآدمية والميثولوجية والحيوانية، ومن الحيوانات نذكر : الخنزير البري، الحمامة، الفيل، الأيل، كلب الصيد، الأرنب، النعامة، الثور، الطاووس، الغراب، البطة، الدجاجة، العقاب، الحصان، اللقلق، الإوزة، الظبي، الحجل، طائر الحبارى، الغزال (BLANCHARD LEMEE, 1975, pp. 85-86)

اللوح الثاني الذي يصور الحمار إلى جانب عبارة asinus nica وجد بالقاعة الدافئة للحمّامات الخاصّة للمنزل، لكن طريقة الكتابة تختلف عن السّابقة، حيث زيّن أسفلها بأربعة أنصاف دوائر تفصل بين حروف الكتابة، وصوّر الحمار هو الآخر في حالة حركة إلى اليسار داخل مربّع محاط بمكعّبات سوداء، ويرافق التّصوير أشكال هندسية مختلفة وليست صور آدمية أو حيوانية كما في السابق،

بالرجوع إلى الإيحاء الذي يمكن استخلاصه من فسيفساء الحمار المنتصر، ينطلق من فرضيتين مرتبطتين بموضوعها، الأولى أنها تعود إلى الفترة الوثنية والثّانية للفترة المسيحية، وبين هذا وذاك تتدخّل مجموعة من الاستنتاجات التي يمكن الاستناد عليها لتقريب وجهة النظر. فأوراق العنب المصاحبة للتّصوير داخل الأيقونات وخارجها، ضف إلى ذلك عناقيد العنب التي يحملها الصبية المجنحون، هي إشارة إلى ارتباط هذا التّعبير بالإله باخوس، ومنه فالحمار المنتصر بدوره كإحدى الحيوانات التي صوّرت مع هذا الإله هي إشارة إلى أنّ الرّمزية المتوخّاة ذات علاقة مع التّصوير الديونيزي ذو دلالة ترابطية وثيقة تؤدّي غرض ميثولوجي مبني على تصوير حقيقي.

فما قيل عن ارتباط الحمار بالدّيانة المسيحة قد يسقط جزئيا في هذه اللوحة على الرغم من أنّها تحمل دلالات ذات علاقة بهذه الدّيانة، على غرار الحيوانات التي نجدها في فجر المسيحية للإشارة الى التّسامح واللين، مثل الطاووس والأرنب والحمامة، لكن من جهة ثانية التّعبير الميثولوجي هو الآخر حاضر ليؤدي غرض إبراز الوثنية، هنا نكون أمام صراع مزدوج بين المسيحة والوثنية، فهي تعبّر عن مرحلة انتقالية بين الاثنين، أو هي مصوّرة في مرحلة لم ينتصر فيها الدين المسيحي بشكل تام، هذا ما يمكن استخلاصه من مختلف المواضيع التي حاول الفنان إيصالها في لوحة

واحدة تجمع بين الاثنين معا، فقد يكون الحمار الذي ذكرنا حقيقة هو الحمار الوثني بمفهوم التّعبير، كما قد يكون المسيحي، ولما لا يكون هو الآخر انتقال من الوثنية إلى المسيحية كانتصار لهذه الأخيرة في مرحلة ما من الصراع الروحي.

فالرّمزية هنا لم تكن لغرض مادي بحت كأن يكون الحمار بمفهوم الانتصار العضوي، اذ قد يكون انتصار على الجسد وتطهيرها من كل ذنب أو شائبة، وحين ربطها بالمكان الذي وجدت به (القاعتين الباردة والدافئة لحمّامات المنزل) وليس قاعة أخرى، فهي إشارة إلى تهيئة الفرد لتطهير ذاته المدنّسة بالخطايا قبل تطهير جسده المثقّل بشوائب الحياة اليومية، خاصّة وأنّ الحمار ارتبط في الديانات الوثنية بالمياه على غرار ديانة شعوب ما بين النهرين كرمز للخصوبة والمياه المتدفّقة من باطن الأرض، هذا ما يفسّر وجوده مصوّرا على أرضية الحمّامات، وتقودنا هذه الفكرة إلى ما طرحناه في عنصر سابق حول دلالة الحمار في الانتقال من حال إلى حال آخر أو من وضعية إلى أخرى، هذا ما نجده كذلك في تراثنا الإسلامي في تفسير رؤيا الحمار في المنام الذي يدل على انتقال حال الحالم من حالة إلى أخرى بحسب ما يراه في منامه (تعليق 2)

صورة 03: فسيفساء القاعة الباردة لحمّامات منزل الحمار بكويكول (تصوير المؤلف)

صورة 04: الحمار المنتصر asinus nica (تصوير المؤلف)

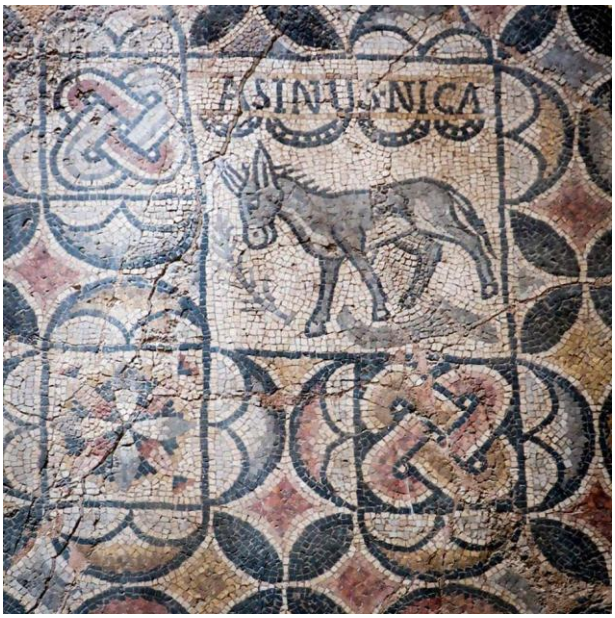

صورة 05: فسيفساء القاعة الدافئة لحمّامات منزل الحمار

المصدر:-www.nessahra.net/le-musee-de-djemila-comme-vous-ne-l'avez-jamais-vu

صورة06: لوحة تشكيلية لفسيفساء القاعة الدّافئة

(المصدر BLANCHARD LEMEE, 1975, p. planche XXIV)

وظهر الحمار في العمارة الدينية المسيحية في أكيلي Aquilée على أرضية تؤرّخ بالقرن الثّالث ميلادي مصاحبا للحمل (BLANCHARD LEMEE, 1975, p. 99)، وهذا يقودنا إلى ما ذكر في سفر الخروج حول استبدال الحمار بشاة كقربان نظير نذر قطع.

ويبرز الحمار المنتصر في عديد المواضيع، ففي مدينة بومبي يظهر تصوير جداري للحمار المنتصر على الأسد في مشهد غير محتشم، ليتوّج من طرف la victoire، يؤرخ بالقرن الأول ميلادي (VENDRIES, 2009, pp. 59-60)

والعبرة من هذا المشهد تكمن في الدلالة التصويرية التي أراد الفنان إبرازها، فالحمار والأسد حيوانان مختلفان تماما عن بعضهما ، في القوة أو في المكان الذي يعيشان فيه، فالأول كثير الظهور في شوارع المدينة، أما الثاني فتتم مشاهدته في المسارح المدرجة ويتم جلبه من المدن الإفريقية، وربما هي دلالة لانتصار الفرد الروماني عن افراد المناطق الأخرى.

وفي الفولكلور الإيطالي وحسب علماء الاثنوغرافيا، يبرز الحمار منتصرا على الأسد في واحدة من القصص الشعبية، التي تحكي اتفاق دار بينهما على طريقة لعبور النهر، بحمل كل واحد منهما للآخر بالدور، وهنا يستعمل الحمار الحيلة للتّخلّص من الأسد قائلا له " كل يستخدم الأسلحة التي يمتلكها" (VENDRIES, 2009, p. 67)

بالعودة إلى موضوع اللوحة الفسيفسائية فإنّ جانب النظر ومدى جاذبية المشاهد، يحوز الحمار على نسبة كبيرة منها، فالصورة لم تكن مجردة كباقي الأيقونات، والعبارة المصاحبة له جعلت منه المشهد الرئيسي الذي يلقي بظلّه على كاملها.

خاتمة:

بات من الواضح أنّ حضور الحمار في الرّوايات الأدبية والأساطير الوثنية والممارسات الدينية والآثار المادية، له من الدلالة الايحائية مكانة هامة في قاموس المجتمعات القديمة كأنيس للإنسان ورفيقه في مختلف أعماله اليومية خاصّة الشاقة والصعبة، وكان حاضرا في ثقافته الشّعبية والميثولوجية كرمز يتأرجح بين الخير والشّر، فصاحب الآلهة والمعبودات والرسل والأنبياء وأبطال عدّة في الرّوايات والتّشكّل الدّرامي، في كل هذا الحضور والتّميّز كان ساعيا لخلق صورة واضحة لانتقال أحوال البشر والآلهة من حال إلى آخر ومن فترة إلى أخرى مغايرة بمدلولها، وفي الصّورة التّمثيلية على فسيفساء قاعتي حمّامات منزل الحمار بمدينة كويكول ومصاحبة الصورة بعبارة الحمار المنتصر asinus nica، هي إشارة لانتصار الجسد وبصورة أخرى قد يكون لانتصار المسيحية على الوثنية لما يحمله المشهد من دلالات قد ترتبط بها بشكل كبير، كما قد يكون للوثنية جزء منها، مما يجعل الحكم غير ثابت في كونها تخص مرحلة انتقالية بين الاثنين .

ويبقى الحمار إلى جانب كونه حيوان المهام الصّعبة والتّنقلات الشّاقة، حيوانا ذو أهمية بالغة في الجانب الروحي والعقائدي لما كان له من دور على مرّ السّنين منذ نشأة المعتقد في العالم

القديم إلى يومنا هذا، بدليل حضوره لدى بعض الشعوب، كارتباطه بالدين على غرار بعض طوائف اليهودية والمسيحية أو ارتباطه بالسياسة كرمز لحزب من أحزابها .

التعليقات

تعليق 1

تظهر الميثولوجيا المصرية الصراع الذي دار بين حورس وسيت، والذي يعود أصله إلى الغيرة التي لحقت سيت من أخوه أوزوريس(والد حورس) الذي كان يحكم مصر بالعدل والخير، وللانتقام منه أقام سيت وليمة جمعت آلهة مصر، وعرض على المدعوين تابوتا مزينا بالحجارة الكريمة بشرط أن يفوز به من يكون حجمه موافقا لحجم التابوت، وكانت المكيدة محاكة بحيث صنع ليلائم حجم أوزوريس، فبدأ الوافدون على التابوت الواحد تلو الآخر حتى جاء دور أوزوريس، وما أن وضع جسمه داخله حتى سارع سيت وأعوانه بإحكام إغلاق التابوت وألقوه في النيل، ليقوده هذا الأخير الى البحر المتوسط وينتهي به الحال على سواحل فينيقيا، بحثت ايزيس على زوجها لتعثر عليه في إحدى جبال جبيل (بيبلوس)، لكن سيت سبقها في ذلك فقطع جثته الى أجزاء ونثرها في أماكن مختلفة، فاتحدت ايزيس مع نفتيس زوجة سيت، واستخدما تعويذة سحرية لإعادته إلى الحياة من جديد، وبالفعل حدث ذلك، وعاد أوزوريس الذي أنجب حورس، تمكن سيت من جديد من أوزوريس فقطعه الى 40 جزءا كل قطعة دفنت في مقاطعة من مقاطعات مصر القديمة، لكن ايزيس استطاعت تجميع القطع، غير أنّ الحياة لم تعاد إليه من جديد. كبر حورس وقرر الانتقام لأبيه، فكان له ذلك بإعلان انتصاره على سيت والشر.

تعليق 2

فسّر ابن سيرين رؤيا الحمار على أنها تدل على السداد والحظ السعيد في الحياة الشخصية، فإذا رأى الشخص في منامه حمارا سمينا فإنّ ذلك يدل على إحساسه بالسّعادة والرضا وحصوله على بعض الأخبار السعيدة في مستقبله، أما إذا كان صاحب المنام ميسور الحال أو ثريا ورأى الحمار النحيل في حلمه فهذا يؤوّل إلى أنه قد يتعرض لخسارة مالية كبيرة قريبًا ويصبح فقيرا.

قال ابن سيرين أنّ الخوف من الحمار في الرؤيا إشارة إلى أن الشخص يمر بوضع صعب في حياته ويحاول الاعتياد عليه، لكن منامه يحمل له أخبار بتحلي الصبر حتى يتمكّن من تجاوز هذه الفترة الصعبة، وإذا سمع صاحب الحلم صوت الحمير في مناه فهذا يشير إلى تعرّضه للمس من قبل الشّياطين وينبغي عليه أن يلزم قراءة القرآن والرقية الشّرعية إلى أن يرفع عنه الأذى.

وإذا رءا الشّخص في منامه يقتل حمارا، فإنّ ذلك يومئ إلى ارتكاب صاحب الرّؤيا ذنوبا ومعاصي تغضب الله عز وجل ويجب عليه التوقف عن ذلك فوراً قبل فوات الأوان كي لا يلقى حساباً عسيراً في الآخرة ويندم. ومشاهدة الشخص قتل الحمار في المنام لتناول لحمه تشير إلى خسارته رزقا كبيرا ودخوله في ضائقة مالية. (ابن سيرين، 2012، الصفحات 197-198)

قائمة المراجع

أولا: المراجع باللغة العربية

1. ابن سيرين. (2012). *تفسير الاحلام الكبير*. الجزائر: دار لمعرفة.
2. احمد ابن عبد الحليم ابن تيمية. (2007). *الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان* (الإصدار 1). الرياض: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع.
3. البشير بختي. (2022). *مشكلة الشر في رواية الحمار الذهبي للوكيوس أبوليوس ورواية خواطر حمار للكنتيسة دي سيجور*. مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، 1، 53-62.
4. بهى الدين دعاء محمد. (2009). *الرمزية ودلالتها في الفن القبطي. الاسكندرية*، مصر: جامعة الاسكندرية.
5. حورية كريدات. (جانفي2018). *الملامح الأسطورية في رواية الحمار الذهبي لـ أبوليوس لوكيوس*. مجلة دراسات انسانية واجتماعية، 8، 253-260.
6. حيدر لفتة سعيد مال الله، و وسيم عبود عطية الحداوي. (2014). *التشهير في العصر الفاطمي(358-427هـ/968-1035م)* (المجلد 8). العراق، جامعة الكوفة كلية التربية للبنات. تاريخ الاسترداد 22ماي 2022، من https://search.emarefa.net/ar/detail/BIM-428389-
7. رياض دحمان. (2022). *الحمامات الرومانية الخاصة في الشرق الجزائري*. الجزائر: معهد الآثار، جامعة الجزائر 2.
8. صباح كنجي. (2018). *التحمير و الجحشنة في الأديان ..2*. الحوار المتمدن، 6011. تاريخ الاسترداد 3 أفريل، 2022، من https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=613512
9. علي عمر سمير فهمي. (د.ت). *السجون والعقوبات في مصر العثمانية (923-1213هـ /1517-1798)*. طنطا، مصر: كلية الآداب. تاريخ الاسترداد 14 جوان، 2022، من https://www.google.com/url?sa=t
10. لوكيوس أبوليوس. (2008). *الحمار الذهبي*. (أبو العيد دودو، المترجمون) الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.
11. نائل حنون. (2002). *عقائد الحياة والخصب في الحضارة العراقية القديمة*. بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
12. هاجر ظريف، و اليامين بن تومي. (مارس2021). *صورة الحمار وبؤر التشكل الدرامي في رواية الحمار الذهبي. مجلة المدونة، 1*، 697-714.

ثانيا: المراجع باللغة الاجنبية

13. BLANCHARD LEMEE, M. (1975). *Maisons à mosaïques du quartier central de Djemila (Cuicul).* Paris, France: centre nationale de la recherche scientifique.
14. EPHREM, B .(2018) .*Les pêcheurs et Priape, réflexions sur les attributions marines d'un dieu ithyphallique à l'époque romaine*. *Ausonius Editions* .160-147 ،*53* ،
halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-02284480 ، من 17mars, 2022تاريخ الاسترداد

15. CAMPS, G. (1984). *Quelques réflexions sur la représentation des équidés dans l'art rupestre nord-africain et saharien. bulletin de la société préhistorique française, T81*, 371-381.
16. CHATELAIN, E. (1910). *Dictionnaire latin français.* Paris, France: librairie hachette et Cie.
17. CLOSSE, C. (1998). *Les ânes dans l'Egypte ancienne*. *Anthropozologica*, 27-39.
18. DE MELY, F. (1908). *Le Christ à tête d'âne du Palatin*. *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres, 02*, 82-92.
19. DE PACHTERE, F. (1911). *Inventaire des mosaiques de l'Afrique romaine III, Proconsulaire, Numidie, Mauritanie.* Paris.
20. DEONNA, W. (1956). *Lavs asini, l'âne, le serpent, l'eau et l'immortalité*. (R. b. d'Histoire, Éd.) Revue belge de Philologie et d'Histoire, 34, 623-658.
21. ROBERT, E .(1522) .*Dictionarium Latinogallicum.* France: éditions eBooksFrance.
22. BURKHALTER, I .(2013) .*Priape ou le paradoxe de l'ityphallisme stérile*. *Musée d'art et d'histoire Genève* تاريخ الاسترداد 12Fevrier, 2022 من ، https://blog.mahgeneve.ch/priape-ou-le-paradoxe-de-lityphallisme-sterile/
23. RIPOSTELLI, J.(1908). *Les Thermes de Caracalla à l'époque romaine et de nos jours : historie et description avec une préface sur l'origine des bains à Rome.* rome ،Italie: Desclée et Cie.
24. LAFONT, B. (2000). *Cheval, âne, onagre et mule dans la haute histoire mésopotamienne : quelques données nouvelles.* (I. d. (Lyon, Éd.) *topoi orient occédent, Suupplément2*, 207-221.
25. MITTON, F. (1905). *Les femmes et l'adultère de l'antiquité à nos jours.* PARIS: H.DARAGON édition.
26. PLUTARQUE. (1844). *Œuvres morales de Plutarque, questions grecques* (Vol. T II). (PICARD, Trad.) PARIS: le Fèvre éditeur.
27. SPARREBOOM, A. (2016). *Venationes Africanae. Hunting Spectacles in Roman North Africa: Cultural Significance and Social Function.* amsterdam: univerciteit van amsterdam.
28. VANDENBEUSCH , M. (2020). *Sur les pas de l'ane dans la religion egyptienne.* Netherlands: Sidestone Press, Leiden.
29. VENDRIES, C. (2009). *l'âne et le lion sur une peinture murale de pompéi (VII 6, 34-35) le triomphe de la virilité asinienne* (Vol. 20). France: édition de Boccard.
30. YILMAZ, O., BOZTEPE, S., & ERTUGRUL, M. (2012). *The domesticated donkey*:ii -types and breeds. *Can. J. App. Sci, 2*, 260-266.